مجلة إكليل للدراسات الانسانية

IASJ-Iraqi Academic Scientific Journals المجلد(7)- العدد(2)-الجزء(2)

التَّعَاور الدَّلاليُّ في المُفرداتِ القُرآنيَّةِ (دراسةٌ سياقيَّةٌ تداوليَّةٌ في بنيةِ الاختلافِ التَّعبيريِّ لِثنائياتٍ لفظيَّةٍ مُختارةٍ)

م. د. ندى وهاب كاظم
كليَّةُ الطِّبِّ البيطريِّ
جامعة القاسم الخضراء

الكلمات المفتاحية: التَّعَاور الدَّلاليُّ، المُفرداتُ القُرآنيَّةُ، التَّحلِيلُ السِّيَاقِيُّ، اللِّسانيَّاتُ التَّداوليَّةُ، الاختلَافُ التَّعبيريُّ

الملخص:
يَهدِفُ البَحثُ إلى دِراسةِ ظَاهِرةِ التَّعَاور في المُفرَدَاتِ القُرآنيَّةِ بوصفِهَا ظَاهِرَةً دَلَاليَّةً–سِيَاقِيَّةً تَتَجَلَّى فِي وُرُودِ ألفَاظٍ مُختلفَةٍ فِي سِياقَاتٍ مُتَشَابهةٍ، بِما يَكشفُ عَن دِقةِ الاختيَارِ اللَّفظِي في النَّصِّ القُرآنيِّ.

وينطَلقُ البَحثُ مِن إشكاليَّةٍ مَفادُهَا: هَل يُفسَّر اختِلَافُ المُفرَدَاتِ فِي السِّيَاقَاتِ المُتَقَاربَةِ تَفسيرًا دَلَاليًّا مُعجميًّا فَحَسبُ، أم أنَّ لِلسِّيَاقِ والمَقَامِ دَورًا حَاسِمًا في تَوجِيهِ هَذا الاختِيَارِ؟

وقَد قَامَ البَحثُ عَلى استِقرَاءِ ومُوَازَنَةِ تِسعِ ثُنَائِيَّاتٍ لَفظِيةٍ مُنتَقَاةٍ بِعِنَايَةٍ، شَمِلَت مَستَويَاتِ الأبنِيَةِ الصَّرفيَّةِ، والأفعَالِ البَيَانيَّةِ، والأسمَاءِ والصِّفَاتِ. وتَوَصَّلتِ الدِّرَاسَةُ إلى جُملةٍ مِنَ النَّتَائِجِ، أبرَزُها: أنَّ التَّعَاورَ في النَّسيجِ القُرآنِيِّ ليسَ مُجرَّدَ تَنوعٍ لفظيٍّ عَفوِيٍّ، بَل هُو نِظَامٌ دَلاليٌّ دقيقٌ مُوجَّهٌ مَقامِيًّا بِحَسبِ مُقتَضَى الحَالِ، وأنَّ المَقَامَاتِ والسِّيَاقَاتِ الخَارجِيَّةَ تَتَضَافَرُ فِي تَوجِيهِ دِقَّةِ الاختِيَارِ اللَّفظِيِّ، ممَّا يَمنَحُ كلَّ مُفرَدَةٍ خُصوصِيَّةً تَعبِيرِيَّةً ووظيفةً معنويَّةً ونَفسيَّةً مُحدَّدَةً لا يُمكِنُ لِأَيِّ لفظةٍ أُخرَى أنْ تسدَّ مَسدَّهَا أو تُؤدّي دورها في موضِعِها؛ وهو ما يُؤكِّدُ تَمَاسُكَ البِنَاءِ اللُّغويِّ وعُمقَ الإعجَازِ البيانيِّ في القُرآنِ الكَرِيمِ.

المُقَدِّمَةُ:
إنَّ النَّصَّ القُرآنِيَّ يُمثِّلُ الذِّروةَ في السُّمُوِّ البَيَانِيِّ والإعجَازِ الأسلُوبِي، حَيثُ تَتَألَّفُ مُفردَاتُهُ في نسقٍ مُحكمٍ لا يُغادرُ فِيهِ اللَّفظُ مَوضِعهُ إلَّا لِغايَةٍ دَلَالِيَّةٍ ومَقامِيَّةٍ لطِيفةٍ. ومِن أَبرَزِ الظَّوَاهِرِ التي تَتَجلَّى فِيهَا هذهِ الدِّقَّةُ الأسلُوبيَّةُ هي ظَاهِرةُ "التَّعَاوُرِ الدَّلاليِّ"؛ إذ تَتَوارَدُ أَلفَاظٍ مختَلِفةٌ في سياقَاتٍ ومَواطِنَ مُتَشَابِهَةٍ ظَاهِريًّا، مِمَّا يَفتَحُ أُفُقًا واسِعًا للبَحثِ في أسبَابِ هَذا الاختِلافِ التَّعبِيريِّ والتَّعَاوُرِ اللَّفظِيِّ.

وتَنبعُ مُشكِلَةُ هَذا البَحثِ مِنَ التَّساؤُلِ المَنهَجِيِّ حَولَ طَبيعةِ التَّعَاوُرِ بَينَ المُفرَدَاتِ القُرآنيَّةِ المُتَقَاربَةِ في المَعنَى المُعجمِيِّ؛ هل يُفسَّرُ اختِلافُ المُفرَدَاتِ في السِّياقاتِ المُتَشَابِهَةِ تفسيرًا دَلاليًّا مُعجمِيًّا على

سبيلِ التَّرادُفِ الظَّاهِريّ فحسبُ؟ أَم أَنَّ للسِّيَاقِ النَّصِّيّ والمقامِ التَّداوُليّ دَورًا حَاسِمًا في تَوجيهِ هذا الاختِيارِ وبِنَاء الاختِلافِ التَّعبيريّ؟ ومِن هُنَا يَسعَى البَحثُ إلى تَفكيكِ هذه الإشكاليَّة عبرَ استنطاقِ النسيجِ القُرآنيّ لِثنائِياتٍ لفظيَّةٍ مُختارةٍ.

وتَكمُنُ أهمِّيَّة البَحثِ في مُحاولتِهِ تَجسِيرَ العَلَاقَةِ بين التُّرَاثِ البَلاغيّ والتَّفسيريّ، وبين اللِّسانِيَّاتِ المُعَاصِرة (المَنهجِ السِّيَاقِي والتَّداوُليّ)، بِهَدفِ إبرَازِ وجهٍ مِن وُجُوهِ الإعجَاز البَيَانيّ، والكَشفِ عَن الفُرُوقِ الدّقِيقَةِ بَينَ الألفَاظِ المُتَعاورةِ، وإثبَاتِ أَنَّ كُلَّ مُفردةٍ قُرآنِيَّة تُؤَدّي وظيفةً مَعنويَّة خَاصَّةً ومُوَجَّهَةً مَقَامِيًّا بِنَاءً على مُقتَضَى الحَال.

واعتمدَ البحثُ على المنهجِ الوصفيّ التحليليّ القائمِ على استقراءِ النصوصِ القرآنيةِ والموازنةِ بينَ الثنائياتِ اللفظيةِ، معَ توظيفِ المعطياتِ اللغويةِ والبلاغيةِ والمعاني التفسيريةِ، مدعومةً بآلياتِ التحليلِ السياقيّ والأبعادِ التداوليةِ لاستجلاءِ الفروقِ الكامنةِ وراءَ التعاورِ الدلاليّ.

وقدْ تباينتْ جهودُ الباحثينَ في مقاربةِ ظاهرةِ التعاورِ في النصّ القرآنيّ، ومِنْ أبرزِ الدراساتِ التي اتصلتْ بموضوعِ البحثِ:

1. رسالة (التَّعَاور في الصيغ والأبنيةِ في القرآنِ الكريمِ دراسةٌ دلاليةٌ) للباحثةِ نادية العمري (٢٠١١م): واعتنتْ بالجانبِ الصرفيّ ودراسةِ تعاورِ الأبنيةِ وأثرِهِ في اتساعِ المعنى القرآنيّ.

2. بحثُ (العدولِ الدلاليّ في المفردةِ القرآنية: دراسةٌ سياقيةٌ في النظائرِ اللفظيةِ) للدكتورِ حسن غازي السعدي (٢٠١٩م): وقاربَ الكلماتِ المتقاربةَ والنظائرَ مِنْ زاويةٍ سياقيةٍ لبيانِ أسبابِ العدولِ التعبيريّ.

وعلى الرغمِ مِنْ رصانةِ هذهِ الدراساتِ، إلا أنَّ البحثَ الحاليَّ تميزَ عنها بتسليطِ الضوءِ على التعاورِ "الدلاليّ" مِنْ منظورٍ لسانيّ يجمعُ بينَ "التحليلِ السياقيّ والأبعادِ التداوليةِ" معًا، مطبقًا ذلكَ على ثنائياتٍ لفظيةٍ منتقاةٍ بعنايةٍ (كالأفعالِ والأسماءِ والصفاتِ)، للكشفِ عَنْ أثرِ المقامِ ومقتضى الحالِ في توجيهِ بنيةِ الاختلافِ التعبيريّ لثنائياتٍ لفظيةٍ مختارةٍ، وهوَ ما لمْ تُفْرِدْ لهُ الدراساتُ السابقةُ مساحةً تطبيقيةً مستقلةً.

وقدْ جرى تقسيمُ المضمونِ الكليّ للدراسةِ بناءً على طبيعةِ النماذجِ وثنائياتِها المنتقاةِ، وذلكَ وفقَ الهيكليةِ الآتيةِ:

أولًا: الإطارُ النظريُّ وفيهِ تمَّ تأصيلُ مفهومِ (التعاورِ الدلاليّ) و(العدولِ التعبيريّ) في الفكرِ اللغويّ والبلاغيّ، وربطُهُ بمفاهيمِ المنهجِ السياقيّ واللسانياتِ التداوليةِ المعاصرةِ.

ثانيًا: النماذجُ التطبيقيةُ للتعاورِ الدلاليّ ويمثلُ المادةَ التحليليةَ للبحثِ، حيثُ تمَّ تصنيفُ الثنائياتِ اللفظيةِ لثنائياتٍ مختارةٍ وتوزيعُها موضوعيًا ولسانيًا على ثلاثةِ مستوياتٍ أسلوبيةٍ متعاقبةٍ، وينتهي البحثُ بخاتمةٍ تُجْمِلُ أهمَّ النتائجِ الدلاليةِ والتداوليةِ التي تمخضتْ عنها مقاربةُ هذهِ النماذجِ في النسيجِ القرآنيّ المحكمِ.

أولًا: الإطار النظري :

التَّعَاور في اللغةِ والاصطلاحِ:

تدورُ لفظةُ التَّعَاوُرِ في الاستعمالِ اللغويّ حولَ معاني التعاقبِ والتداولِ والتناوبِ، وهيَ معانٍ يجمعُها مبدأُ التبادلِ والحلولِ محلَّ الآخرِ، بما يدلُّ على حركةٍ مستمرةٍ بينَ طرفينِ أو أكثرَ في إطارٍ مِنَ المشاركةِ.

المعاقبةُ أوِ التعاقبُ: فالتعاورُ هوَ التعاقبُ على الشيءِ، بينَ الذهابِ والإيابِ قالَ الخليلُ: ((وتعاوَرَ القوم فلانًا فاعتوروه ضربًا، أي : تعاونوا فكلما كفّ واحد ضرب الآخر ، وهو عام في كل شيء. وتعاورت الرياح رسمًا حتى عفته))[1]. قالَ الجوهريُّ في لفظةِ عقبَ: ((وإبل معاقبة : ترعى مرة في حمض ومرة في خلة، وأما التي تشرب الماء ثم تعود إلى المعنطن ثم تعود إلى الماء فهي العواقب... وأعقبت الرجل ، إذا ركبت عقبة وركب هو عقبة، مثل المعاقبة . والعرب تعقب بين الفاء والثاء وتعاقب ، مثل جدث وجدف))[2].

والمداولةُ: مِنْ دولَ وهوَ تحولُ شيءٍ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ، ومِنْ هذا البابِ تداولُ القومِ الشيءَ بينَهم: إذا صارَ مِنْ بعضِهم إلى بعضٍ، وأمرٌ يتداولُونَهُ، فيتحولُ مِنْ هذا إلى ذاكَ، ومِنْ ذاكَ إلى هذا [3] فيقالُ: تداولَ القومُ فلانًا، إذا تعاوَرُوهُ بالضربِ، وكلامُ العربِ يتعاورُونَ بالواو.

والتَّعَاور: شِبهُ المداولةِ والتداولِ في الشيءِ يكونُ بينَ اثنينِ [4]، وتَعَاوَرْنَا كذا: داولْنَاهُ ومنهُ تعاورُ الريحِ الأثرَ [5].

والمنَاوبةُ: مِنْ نابَ عنّي فلانٌ في هذا الأمرِ نيابةً [6] ، إذا قامَ مَقامَكَ، وتناوَبَ أيْ قامَ أحدُهُما مَقامَ الآخرِ، وفيهِ ((يتعاوَرُونَ على مِنْبَرِي)) أيْ: يختلفُونَ ويتناوَبُونَ [7].

والمخالفةُ: مِنْ خلفَ بفتحتينِ العِوضُ والبدلُ يقالُ اجعلْ هذا خَلفًا مِنْ هذا أيْ قائمًا مَقامَهُ [8] .

يقالُ اختلفَ فلانٌ فلانًا، أيْ: صارَ يكررُ ذهابَهُ وإيابَهُ وكما في الحديثِ السابقِ ((يتعاوَرُونَ على مِنْبَرِي)) أيْ: يختلفُونَ.

والتَّاءِ في (تفاعَلَ) تفيدُ المشاركةَ لِما يكونُ مِنِ اثنينِ فصاعدًا [9] نحوُ تضارَبَا وتَضَارَبُوا أيْ تشارَكَا في الضربِ وتناقَشَ القومُ تشارَكُوا في النقاشِ، وربما يكونُ هذا المعنى هوَ الأقربُ للفظةِ التَّعَاوُرِ فتعاوَرَتِ الكلمتانِ أو تشارَكَتْ في بعضِ المعانِي.

وأصلُ هذا كلِّهِ مِنَ الإعارةِ، يقالُ: أَعَرْتُهُ الشيءَ، إعارةً وعَارَةً، ومنها الاستعارةُ؛ لأنَّ الاستعارةَ: إحلالُ شيءٍ مَكانَ شيءٍ آخرَ يشابهُهُ في المعنى جاءَ في علومِ البلاغةِ عنِ الاستعارةِ ((وهو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعني المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي))[10].

ويظهرُ مِنْ تتبعِ الاستعمالاتِ اللغويةِ أنَّ التَّعَاوُرَ لا يقتصرُ على مجردِ التعاقبِ الزمنيّ، بلْ يتجاوزُ ذلكَ ليشملَ نوعًا مِنَ التداخلِ الوظيفيّ بينَ العناصرِ، بحيثُ يحلُّ أحدُها مَحلَّ الآخرِ في سياقٍ معيَّنٍ معَ احتفاظِ كلّ عنصرٍ بخصوصيتِهِ الدلاليةِ.

ومنْ ثَمَّ يمكنُ القولُ إنَّ التَّعَاوُرَ في أصلِهِ اللغويّ يرتبطُ بفكرةِ الإبدالِ السياقيّ، وهوَ ما مَهَّدَ لانتقالِهِ إلى المجالِ الاصطلاحيّ بوصفِهِ ظاهرةً تتصلُ باختيارِ الألفاظِ داخلَ البنيةِ التركيبيةِ.

التَّعَاور في الاصطلاح:

يُستعملُ مصطلحُ التَّعَاوُرِ في الدراساتِ القرآنيةِ لِلدِّلَالَةِ على تبادلِ المفرداتِ في سياقاتٍ متقاربةٍ، بحيثُ تُستعملُ لفظةٌ في موضعٍ، وتُستعملُ أخرى في موضعٍ مشابهٍ لهُ معَ وجودِ فرقٍ دلاليّ دقيقٍ بينَهما.

ولا يبدو هذا الاستعمالُ مجردَ تنوعٍ تعبيريّ، بلْ يعكسُ نظامًا دلاليًا قائمًا على مراعاةِ السياقِ والمقامِ، الأمرُ الذي يجعلُ مِنْ كلّ مفردةٍ مختارةٍ عنصرًا وظيفيًا يؤدي دورًا محددًا داخلَ النصّ.

ويمكنُ النظرُ إلى هذا المصطلحِ بوصفِهِ إطارًا تفسيريًا حديثًا لظاهرةٍ معروفةٍ في التراثِ اللغويّ، إلا أنَّهُ يمتازُ بتركيزِهِ على البُعدِ السياقيّ والتداوليّ في تفسيرِ الاختلافِ اللفظيّ، قالَ فاضل السامرائي: ((قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني فتستعمل مفردة في موطن وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به))[11]، ويبدو أنَّ هذا المصطلحَ لمْ يستقرَّ عندَ فاضل السامرائي يعنونُ على هذهِ المواضيعِ في كتابِهِ بلاغة الكلمة بـ(تعاور المفردات) وفي التعبيرِ القرآنيّ بـ(التشابه والاختلاف)، ويبدو أنَّ سببَ الاضطرابِ هوَ اختيارُ مصطلحٍ لا يلائمُ المعنى تمامًا.

يمكنُ النظرُ إلى مصطلحِ التَّعَاوُرِ بوصفِهِ محاولةً اصطلاحيةً حديثةً لتوصيفِ ظاهرةٍ معروفةٍ في الدراساتِ القرآنيةِ، عُبِّرَ عنها بمصطلحاتٍ أخرى مثلُ: الفروق اللغوية، والتشابه اللفظي، والعدول التعبيري، إلا أنَّ مصطلحَ "التَّعَاوُرِ" يتميزُ بقدرتِهِ على استيعابِ فكرةِ التناوبِ السياقيّ بينَ المفرداتِ داخلَ البنيةِ النصيةِ.

شروطُ التَّعَاورِ:

يتحققُ التعاورُ في المفرداتِ القرآنيةِ عندَ توفرِ شرطينِ أساسينِ ([12]):

الأولُ: وجودُ سياقينِ أو تركيبينِ متقاربينِ في البنيةِ العامةِ أو المعنى.

الثاني: ورودُ ألفاظٍ مختلفةٍ في هذهِ السياقاتِ معَ وجودِ قدرٍ مِنَ الاشتراكِ الدلاليّ بينَها.

غيرَ أنَّ هذا الاختلافَ لا يكونُ اعتباطًا، بلْ تحكمُهُ اعتباراتٌ دلاليةٌ وسياقيةٌ دقيقةٌ، وهوَ ما يمنحُ الظاهرةَ بعدَها البلاغيَّ.

تعاورُ المفرداتِ في النصّ القرآنيّ

قدْ تتعاورُ المفرداتُ في التعبيرِ القرآنيّ، فتستعملُ مفردةٌ في موطنٍ وتستعملُ غيرُها في موطنٍ آخرَ شبيهٍ بهِ، بلْ في القصةِ الواحدةِ قدْ تستعملُ مفردةٌ في موضعٍ وتستعملُ غيرُها في موضعٍ آخرَ ومعناهُ أنْ تأتي آيتانِ أو أكثرُ متشابهتانِ إلا في كلمةٍ واحدةٍ أو كلمتينِ وليسَ هذا الاختلافُ مِنْ قبيلِ الصدفةِ بلْ لهُ أسبابُهُ وغاياتُهُ ومقاصدُهُ ومناسبةُ مقالِهِ لِما يَقْتَضِيهِ المقامُ وكلُّ هذا يندرجُ ضمنَ دلائلِ إعجازِ النصّ القرآنيّ (١٣)، وهوَ تشابهُ تعبيراتٍ أخرى إلى حدٍّ بعيدٍ معَها ولا تختلفُ عنها إلا في مواطنَ ضئيلةٍ بلْ قدْ يتعدى الأمرُ ذلكَ فيكونُ الاختلافُ في كلمةٍ واحدةٍ في تعريفِها أو تنكيرِها أو جمعِها وإفرادِها [13].

وأوردَ كريمٌ كحولٌ تعريفاتٍ عدةً للتَّعَاوُرِ ([14]) حيثُ ذكرَ: تداولُ الألفاظِ على التراكيبِ المتشابهةِ أو المتماثلةِ، تناوبُ الألفاظِ في المتشابهِ اللفظيّ، ورودُ لفظٍ في موضعٍ وورودُ غيرِهِ في موضعٍ شبيهٍ بهِ.

ثانيًا: النماذجُ التطبيقيةُ للتعاورِ الدلاليّ

المستوى الأولُ: تعاورُ الأبنيةِ والصيغِ الصرفيةِ؛ ويضمُّ ثنائيتينِ:

أولًا: ثنائيةُ المصدرِ ومصدرِ المرةِ: (البطش / البطشة).

يردُ معنَى البطشِ في الأخذِ بقهرٍ وغلبةٍ وقوةٍ (15) وقيلَ الأخذُ الشديدُ في كلّ شيءٍ [16]، فمعنَى البطشِ ما يؤخذُ بالقوةِ المتصفةِ بالشدةِ وهوَ أخذٌ عامٌّ.

قدْ استعملَ القرآنُ الكريمُ لفظتَي (البطش - البطشة) في التعبيرِ في سياقاتٍ مختلفةٍ، فمرةً عبَّرَ بالمصدرِ (بَطْشَ)، ومرةً عبَّرَ بمصدرِ المرةِ (البَطْشَة) وهما في كلا الموضعينِ مختلفَا الدلالةِ فالتعبيرُ بالمصدرِ يدلُّ على العمومِ، والتعبيرُ بمصدرِ المرةِ يدلُّ على الخصوصِ [17].

ففي قولهِ تعالى:((إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ))، عبَّرَ بالمصدر(البطش)، وفي قوله تعالى:((إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)) عبَّرَ بمصدرِ المرةِ (البطشة).

في الآيةِ الأولى استعملَ (البطشَ) لأنهُ يدلُّ على البطشِ العامّ سواءً أكانَ في الدنيا أمْ في الآخرةِ[18]، فلما كانَ عمومُ البطشِ كانَ التعبيرُ بالمصدرِ العامّ أنسبَ للمقامِ .

أما في الآيةِ الثانيةِ استعملَ (البطشةَ)؛ لأنهُ يدلُّ على البطشِ الخاصّ وهوَ خاصٌّ بيومِ القيامة[19]، فلما كانَ البطشُ يدلُّ على وجهِ الخصوصِ بيومِ القيامةِ كانَ التعبيرُ بمصدرِ المرةِ مناسبًا للمقامِ، ومنْ هنا يتضحُ أنَّ التعبيرُ بالمصدرِ يفيدُ العمومَ والاستمرارَ، في حينَ يدلُّ مصدرُ المرةِ على التخصيصِ والتحديدِ، وهوَ ما ينسجمُ معَ طبيعةِ كلّ سياقٍ.

وهذا التصنيفُ يكشفُ أنَّ التَّعَاوُرَ ليسَ مجردَ ظاهرةٍ لغويةٍ، بلْ هوَ نظامٌ دلاليٌّ دقيقٌ يحكمُ اختيارَ المفردةِ في النصّ القرآنيّ.

ثانيًا: ثنائيةُ صيغِ الزيادةِ والمشقةِ البدنيةِ: (اسطاعوا / استطاعوا):

قال تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } [الكهف: 97]

نجدُ الفعلَ (استطاعَ) في قولهِ تعالى جاءَ على صورتينِ الأولى حُذفتْ منهُ (التاءُ) والثانيةُ ثبتتِ التاءُ وعندَ رجوعِنا للمعاجمِ اللغويةِ نجدُ أنَّ دلالةَ الفعلِ تفسَّرُ كما جاءَ في لسانِ العربِ ((الاستطاعةُ: الْقُدْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَقِيلَ: هِيَ اسْتِفْعَالٌ مِنَ الطَّاعَةِ؛ قَالَ الأَزهري: وَالْعَرَبُ تَحْذِفُ التَّاءَ فَتَقُولُ اسْطاعَ يَسْطِيعُ...))[20].

يبدو أنهُ لا يوجدُ فرقٌ بينَ دلالةِ (استطاعَ) و(اسطاعَ) في معاجمِ اللغةِ، إذْ ذكرُوا تعليلاً صرفيًا في الفرقِ بينَهما أوْ أنهما لغتانِ.

ووجدْنا مفسرًا يفرّقُ بينَ دلالةِ (اسطاعوا واستطاعوا) وهوَ أبو جعفر الغرناطي في قولهِ :((يقال: أستطاع واستاع واسطاع، والأول الأصل، ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفًا، فجيء أولًا بالفعل مخففًا عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السدّ والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففًا مع الأخف، وجيء به تامًا مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب. وأيضًا فإن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى، فلنكتف بهذا، والله سبحانه أعلم بما أراد))[21]، وهذا يتسقُ معَ حكمِ العقلِ والمنطقِ، إذِ الصعودُ على السدِّ أيسرُ مِنَ النقبِ ويتطلبُ وقتاً أقلَّ، فناسبَ الحذفُ الجهدَ والوقتَ المبذولينِ في الصعودِ، وناسبَ تمامُ الفعلِ الجهدَ والوقتَ المبذولينِ في النقبِ [22]، ذهبَ لهذا المعنى الدكتورُ فاضل السامرائي [23].

هذا القولُ يصحُّ على ما جاءَ في القرآنِ، بيدَ أنَّ هناكَ قراءةً تخالفُ ما ذهبَ إليهِ الغرناطي والدكتورُ فاضل السامرائي، إذْ جاءَ في السبعةِ ((كلهم قَرَأَ فَمَا اسطاعوا بتَخْفِيف الطَّاء غير حَمْزَة فَإِنَّهُ قَرَأَ فَمَا اسْطَّاعوا مُشَدّدَة الطَّاء يُرِيد فَمَا اسْتَطَاعُوا ثمَّ يدغم التَّاء في الطَّاء))[24]، وعلى قراءةِ حمزةَ هذهِ يكونُ صعودُ السدِّ أشقَّ منْ نقبهِ؛ لأنَّ الطاءَ أقوى مِنَ التاءِ والتشديدُ فيهِ مِنَ الوقوفِ على المخرجِ، وصعوبةُ النطقِ بساكنَيْنِ متجاورينِ حسبَ قواعدِ الصرفِ، فالسينُ

ساكنةٌ، والطاءُ الأولى المشددةُ ساكنةٌ، والتقاءُ الساكنينِ هذينِ لهُ شواهدُ كثيرةٌ في القرآنِ وغيرِ القرآنِ، منهُ (نعْمَّا، ويخْطِّف).

والظاهرُ أنَّ تسورَ السدِّ ونقبهُ متساويانِ في الصعوبةِ، فالإشارتانِ الأولى أنَّ الاستطاعتينِ كلتيهما منفيتانِ في المستقبلِ، والثانيةُ: وهيَ مؤيدةٌ للإشارةِ الأولى التي هيَ أنَّ السدَّ لنْ يستطيعُوا لا ظهورهُ ولا نقبهُ أبداً، وأنهُ سوفَ يدكُّ أيْ يهدمُ هدماً منْ قَبْلِ اللهِ تعالى، ويسوى بالأرضِ جاءَ في الكشافِ: ((جعل السد دَكَّاءَ أي مدكوكًا مبسوطًا مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه: الجمل الأدك: المنبسط السنام))[25]، وربما في ذلكَ إشارةٌ لجانبٍ آخرَ وهوَ أنَّ ما يبنيهِ اللهُ تعالى أوْ مَنْ هوَ منْ عندِهِ لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يطاولَ هذا البناءَ أوْ يخرقهُ، وأمرُهُ موكلٌ للهِ تعالى وحدَهُ.

وقيلَ إنَّ (اسطاعوا) يعبرُ عنْ أشدِّ الأمرينِ، ففيهِ دلالةُ التركِ واليأسِ منْ تحققهِ، إذْ تُركتْ تمامُ بنيتهِ لليأسِ الحاصلِ منْ منعةِ السدِّ، وكانَ هذا الخيارُ متروكاً لاستحالتهِ فتركتْ بنيتهُ مِنَ التمامِ أيضاً، وجاءتْ (استطاعوا) في الآيةِ الثانيةِ تامَّ الصيغةِ دالاً على أنهُ قابلٌ للمحاولةِ والتحققِ[26].

وقدْ تكونُ الفائدةُ منْ إيرادِ (اسطاعوا واستطاعوا) لفظيةً هيَ تجنبُ التكرارِ.

وربما في استعمالِ (اسطاعوا واستطاعوا) تحدٍّ للعربِ، إذْ يريدُ القرآنُ أنْ يقولَ للعربِ إنَّ هذا القرآنَ لمْ يأتِ على لغتِكمُ الفصحى فحسبْ، بلْ جاءَ على لهجاتِكمُ التي تتكلمُونَ بها، ومِنْها: (اسطاعوا واستطاعوا) اللتَانِ هما لهجتانِ مِنْ أربعةِ لهجاتٍ جاءتْ في (استطاعَ)، وأنتمْ عاجزُونَ عَنِ الإتيانِ بمثلِهِ.

ونخلصُ منْ ذلكَ بخمسةِ أقوالٍ يمكنُ أنْ تردَ في استعمالِ (اسطاعوا واستطاعوا) هيَ:

أولُها: أنهما متساويتانِ في الدلالةِ على معنى الاستطاعةِ، وهذا ما يؤيدُهُ المعنى المعجميُّ وسياقُ الآيةِ الكريمةِ.

ثانيها: أنَّ (اسطاعوا) يدلُّ على جهدٍ وزمنٍ أقلَّ مِمَّا في (استطاعوا).

ثالثها: أنَّ (اسطاعوا) في منزلةِ المتروكِ؛ لأنهُ ميؤوسٌ مِنْ تحقيقِهِ، و(استطاعوا) جاءَ تامَّ الصيغةِ لأنهُ قابلٌ للمحاولةِ.

رابعها: جيءَ بـ(اسطاعوا) مرةً وبـ(استطاعوا) مرةً أخرى لتجنبِ التكرارِ اللفظيِّ.

خامسها: أنَّ استعمالَ (اسطاعوا واستطاعوا) فيهِ تحدٍّ للعربِ منْ جهةِ أنَّ هذا القرآنَ جاءَ على لهجاتِ الغِى التي تتكلمُونَ بها، منها: (اسطاعوا، واستطاعوا) وأنتمْ عاجزُونَ عَنِ الإتيانِ بمثلِهِ.

ويؤكدُ هذا التعاورُ أنَّ البنيةَ الصرفيةَ في القرآنِ ليستْ عفويةً، بلْ تخضعُ لاعتباراتٍ دلاليةٍ وسياقيةٍ، بحيثُ يعكسُ كلُّ شكلٍ صرفيٍّ درجةً معينةً مِنَ الجهدِ أوِ الإمكانِ.

المستوى الثاني: تعاورُ الأفعالِ المتقاربةِ بياناً؛ ويضمُّ أربعَ ثنائياتٍ:

أولًا: ثنائيةُ شدةِ وقوةِ التدفقِ الماديِّ للماءِ: (انفجرتْ / انبجستْ):

تعاورَ هذانِ اللفظانِ على مجالٍ دلاليٍّ واحدٍ في القرآنِ الكريمِ، إذْ كانتِ القصةُ واحدةً والموضوعُ واحدٌ ولكنَّ اللفظينِ جاءَا مختلفينِ فقدْ وردَ اللفظانِ في آيتينِ، الأولى قولهِ تعالى:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}(سورة الأعراف: 160)، والثانية قال جلّ وعلا{ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}(سورة البقرة: 60).

ولمعرفةِ الفرق الدلاليّ بين اللفظين لا بد من معرفة الجامع بينهما من جهة، ومعرفة وجه الاختلاف الذي اقتضى تعاورهما في هذا المجال الدلالي من جهة أخرى.

ولمعرفةِ وجهِ الشبهِ بينَهما نعودُ إلى المعنى اللغويّ للفظين، جاءَ في العينِ ((البَجسُ: انشقاقٌ في قربةٍ أو حجرٍ أو أرضٍ ينبع منه الماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس))[27]، وجاءَ في تاجِ العروسِ:((فانبجَسَ وتبَجَّسَ: انفجَرَ وتَفَجَّرَ))[28]. الملاحظُ منَ النصوصِ السابقةِ أنَّ الانبجاسَ والانفجارَ متقاربانِ في الدلالةِ إلى الحدِّ الذي يكادُ يتطابقانِ فيهِ؛ إذْ إنَّ كليهما يدلُّ على الانشقاقِ وتدفقِ الماءِ، ولكنْ على الرغمِ منْ هذا التقاربِ الدلاليّ يبقى هناكَ فرقٌ لغويٌّ ذكرَهُ السمين الحلبي قالَ:((والانفجارُ: الانشقاقُ والتفتُّح، ومنه الفَجْرُ لانشقاقِه بالضوءِ، وفي الأعرافِ، {فانبجست} [الآية: 160]، فقيل: هما بمعنى، وقيل: الانبِجاس أضيقُ، لأنه يكونُ أولَ والانفجارُ ثانيًا))[29].

ممنْ فرَّقَ بينَ اللفظينِ الكفويُّ (ت1094ه)، قال :((الانبجاس: أَكثر مَا يُقَال [ذَلِك] فِيمَا يخرج من شَيْء ضيق.والانفجار: يسْتَعْمل فِيهِ وَفِيمَا يخرج من شَيْء وَاسع وَمَا فِي سُورَة " الْبَقَرَة " لَعَلَّه انبجس أَولا ثمَّ انفجر ثَانِيًا))[30].

وهذا المعنى في التفريقِ بينَ الانفجارِ والانبجاسِ ذهبَ إليهِ الدكتورُ فاضل السامرائي وعللَ سببَ تعاورِ اللفظينِ بأمورٍ منها: أنَّ الانفجارَ وردَ في سورةِ البقرةِ وهناك موسى (عليهِ السلامُ) هوَ الذي استسقى لقومِهِ {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ }، فناسبَ ذلكَ انفجارَ الماءِ، أما في سورةِ الأعرافِ حيثُ ذُكِرَ الانبجاسُ فقومُهُ همُ الذينَ استسقَوْا، {إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ} إذْ يرى أنَّ الحالةَ الأولى أكملُ فناسبَ إجابتَها الانفجارُ دونَ الثانيةِ، أمرٌ ثانٍ يستدلُّ بهِ السامرائي وهوَ أنَّ في سورةِ البقرةِ حينَ ذكرَ الانفجارَ اللهُ طلبَ ذلكَ منْ موسى بالقولِ {فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ} ، في حين طلب ذلك منه في سورة الأعراف وحيًا {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ}، ويرى أنَّ القولَ الصريحَ منَ اللهِ أكملُ وأتمُّ[31].

والرأيُ الذي يذهبُ إلى التفريقِ بينَ اللفظينِ هوَ الرأيُ الراجحُ اللذانِ ينساقُ معَ فكرةِ التعاوُرِ، والذي يفسرُ لنا سببَ تناوبِ اللفظينِ في المجالِ الدلاليّ الواحدِ، يُؤيّدُهُ البيانُ البلاغيُّ للقرآنِ الكريمِ الذي يستلزمُ الدقةَ في التعبيرِ ووضعَ كلّ شيءٍ في موضعِهِ.

ويظهرُ منْ هذا أنَّ الانبجاسَ يمثلُ المرحلةَ الأولى لخروجِ الماءِ، في حينَ يدلُّ الانفجارُ على تمامِهِ وقوتِهِ، وهوَ ما ينسجمُ معَ اختلافِ السياقينِ في عرضِ الحدثِ.

ثانيًا: ثنائيةُ الظهورِ والتمكينِ البصريّ: (بَزَغَ / طَلَعَ).

يرى ابنُ فارسٍ أنَّ معنى (بَزَغَ) هوَ الطلوعُ والظهورُ [32]، ويرى الزجاجُ بَزَغَتِ الشمسُ ابتدأتْ بالطلوعِ، مأخوذٌ مِنَ البَزْغِ وهوَ الشقُّ كأنَّها تشقُّ بنورِها الظلمةَ شَقًّا[33]، وقال الراغب: ((بزغ الخفاء بدأ الصبح لذي العينين))[34]، وجاءَ في الفروقِ للعسكريّ أن البزوغ أول الطلوع [35]، أما الطلوعُ فيذهبُ ابنُ فارسٍ إلى أنَّ الطلوعَ هوَ الظهورُ والبروزُ [36]، وقيلَ هوَ العُلُوُّ[37] ، تبينُ مما سبقَ أنَّ ثمةَ فرقًا بينَ البزوغِ والطلوعِ، فالبزوغُ في أولِ الشيءِ، والطلوعُ ما كانَ ظاهرًا جليًا للعيانِ.

استعملَ القرآنُ الكريمُ مادةَ (ب ز غ) ففي قولِهِ تعالى:((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ [76] فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ [77] فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ))

فعبرَ القرآنُ الكريمُ بلفظةِ (بَازِغًا وبَازِغَةً)؛ لأنَّ السياقَ يتطلبُ ذلكَ، فلما كانتِ الحادثةُ في الليلِ كانَ إبراهيمُ (عليهِ السلامُ) ينتظرُ ظهورَ ما هوَ أنورُ مِنَ الكواكبِ[38] فلما بدا القمرُ في أولِهِ أيْ: في أولِ بزوغِهِ قالَ (بَازِغًا) ثمَّ أَفَلَ، وتكررَ المشهدُ معَ الشمسِ وفي الليلةِ نفسِها فلما بَزَغَتِ الشمسُ أيْ: في أولِها قالَ بَازِغَةً، فاستعمالُ مادةِ (بَزَغَ) مناسبٌ للمقامِ لأنَّ كلاً مِنَ القمرِ والشمسِ كانَا في بدايةِ ظهورِهما.

وفي موضعٍ آخرَ استعملَ القرآنُ الكريمُ مادةَ (ط ل ع)، قالَ تعالى:((أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى))، نجدُ أنَّ القرآنَ الكريمَ عبَّرَ بلفظةِ (طُلُوعِ) ولمْ يقلْ (بُزُوغِ)؛ لأنَّ سياقَ الآيةِ يتحدثُ عَنِ التسبيحِ واللهُ أعلمُ مِنْ بعدِ صلاةِ الفجرِ [39]. فالمقامُ يشيرُ إلى أنَّ الشمسَ قدْ طلعتْ وجاوزتْ مرحلةَ البزوغِ حيثُ تُرَى ظاهرةً فكانَ الأنسبُ التعبيرُ بلفظةِ (الطلوعِ) بدلَ (البزوغِ).

ومنْ ثَمَّ فإنَّ اختيارَ (بَزَغَ) يرتبطُ بمرحلةِ الظهورِ الأولى، في حينَ يدلُّ (الطلوعُ) على اكتمالِ الظهورِ، وهوَ فرقٌ زمنيٌّ دلاليٌّ دقيقٌ يعكسُ مراعاةَ السياقِ الزمانيّ في التعبيرِ القرآنيّ.

ثالثًا: ثنائيةُ الظَّفَرِ والإدراكِ: (وَجَدَ / ثَقِفَ):

(وجد) الواو والجيم والدال، يدلُّ على أصلٍ واحد، وهو الشيء يُلفيه. ووَجَدْتُ الضَّالَّة وِجْدانًا. [وحكى بعضُهم: وجَدتُ في الغضَب وِجدانا[40].

واستعملَ لفظةَ (وَجَدَ) في ضوءِ قولهِ تعالى: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: 89]

وَجَدَ لهُ معانٍ عدةٌ، منها: العِلْمُ والإصابةُ والغَضَبُ والإيسَارُ وهوَ الاستغناءُ، والاهتمامُ وهوَ الحُزْنُ، قالَ أبو جعفرٍ: ((يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أدبر هؤلاء المنافقون عن الإقرار بالله ورسوله، وتولوا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام ومن الكفر إلى الإسلام فخذوهم" أيها المؤمنون="واقتلوهم حيث وجدتموهم"، من بلادهم وغير بلادهم))[41].

ومنَ اللافتِ هنا أنَّ سياقَ الآيةِ يشدِّدُ في التحذيرِ منْ خطرِ المنافقينَ بطريقِ المواجهةِ الحازمةِ، فرغمَ تظاهرِهمْ بالإسلامِ، صرَّحَ القرآنُ بأسرِهمْ وقتلِهمْ إجهاضاً لفسادِهمُ الخفي [42].

(ث ق ف) : ((ثَقُفَ الرجل من باب ظرف صار حاذقا خفيفا فهو ثَقْفٌ مثل ضَخُم فهو ضَخْم ومنه المُثَاقَفَةُ و ثَقِفَ كعضد و الثِّقَافُ ما تسوى به الرماح و تثقيفُها تسويتها و ثَقِفَهُ من باب فهم صادفه وخل ثِقِّيفٌ بالكسر والتشديد أي حامض جدا مثل بصل حريف))[43].

((ثَقِفَهُ فِي مَوْضِعِ كذا: أَخَذَهُ، قَالَه اللَّيْثُ، أَو ظَفِرَ به، قاله ابنُ دُرَيْدٍ ، أَو أَدْرَكَهُ قالَهُ ابنُ فَارِسٍ، زاد الرَّاغِبُ: بِبَصَرِهِ لحِذْقٍ فِي النَّظَرِ، ثم قد يُتَجَوَّزُ به فيُسْتَعْمَلُ فِي الإِدْرَاكِ وإِن لم يكن معه ثَقَافَةٌ ، وبكُلّ ذلك فُسِّرَ قَوْلُه تعالَى: وَاقْتُلُوهُمْ حَيثُ ثقفتموهُمْ فِي الْحَرْبِ وقالَ تعالَى مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تَقْتِيلًا))[44].

في ضوءِ المعنى اللغويّ للفظةِ (ثَقِفَ) يتبينُ أنَّ المعنى المشتركَ للفظةِ هوَ الإدراكُ الدقيقُ المحيطُ بأنْ يكونُ الموضوعُ تحتَ النظرِ معَ الحذقِ [45].

ونجدُ ذلكَ في قولهِ تعالى: {فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: 91].

ومعنى ثقفتمُوهُمْ عندَ المفسرينَ: حيثُ أصبتمُوهُمْ [46]، حيثُ تمكنتُمْ منهمْ[47] وجدتموهم واحد[48] ويجمعُهمُ الألوسيُّ حيثُ قالَ: ((أي وجدتموهم وأصبتموهم أو حيث تمكنتم منهم))[49].

وفي ذلكَ يقولُ العلامةُ حسن المصطفويُّ: ((أي في أي مورد جعلتموهم تحت النظر والدرك الدقيق والحذق التام، حتى لا يرى فسادٍ معنوي ولا ظاهري في قتلهم وكانوا مستحقين به))[50].

والفرقُ بينَ وَجَدَ وثَقِفَ فيما يظهرُ أنَّ وَجَدَ تأتي بعدَ بحثٍ منْ دونِ جهدٍ وعناءٍ كبيرٍ أما ثَقِفَ فتكونُ بعدَ جهدٍ وعناءٍ ومطاردةٍ وفيها معنى المغالبةِ ولِذَا ارتبطتْ بآياتِ الجهادِ، ومنْ ثَمَّ فإنَّ اختيارَ (ثَقِفَ) في هذا السياقِ لا يعبّرُ عنْ مجردِ الوجودِ، بلْ عَنِ التمكُّنِ والإحاطةِ، وهوَ ما ينسجمُ معَ سياقِ المواجهةِ والصراعِ، بخلافِ (وَجَدَ) التي لا تتضمنُ هذا البعدَ.

ويتضحُ منْ ذلكَ أنَّ (ثَقِفَ) تتضمنُ معنى الإدراكِ المصحوبِ بالتمكُّنِ والإحاطةِ، بخلافِ (وَجَدَ) التي قدْ تتحققُ دونَ هذا البعدِ، ومنْ هنا كانَ اختيارُ كلٍّ منهما مرتبطاً بطبيعةِ السياقِ، ولا سيما في آياتِ المواجهةِ والصراعِ.

رابعًا: ثنائيةُ الإهلاكِ وخصوصيةِ الفعلِ الماديّ: (القتل / الذبح):

قالَ ابن فارسٍ: (((ذبح) الذال والباء والحاء أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على الشّقّ. فالذَّبح: مصدر ذبَحْت الشّاةَ ذبحًا. والذِّبح: المذبوح. والذُّبَّاح: شُقوقٌ في أصول الأصابع))(51). وَالذَّبْحُ ((قَطْعُ الْأَوْدَاجِ وَذَلِكَ لِلْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَنَحْوِهِمَا وَعَنْ اللَّيْثِ الذَّبْحُ قَطْعُ الْحُلْقُومِ مِنْ بَاطِنٍ عِنْدَ النَّصِيلِ وَهُوَ أَظْهَرُ وَأَسْلَمُ))[52]. ((ذبحا قطع حلقومه و . الشيء شقه و . ثقبه يقال ذبح الدن و . يقال ذبحته العبرة خنقته و ذبحه الظمأ جهده و . ذبحت فلانا لحيته سالت تحت ذقنه))[53].

وقدِ استخدمَ القرآنُ الكريمُ لفظةَ (ذَبَّحَ) في قولهِ تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } [البقرة: 49] بعدَ أنْ عدَّ النعمَ الكثيرةَ اللتَانِ أنعمَ بها سبحانَهُ وتعالى على بني إسرائيلَ، وهمْ قابلُوهُ بالجحودِ والعصيانِ، لذا ذكرَهمْ سبحانَهُ بما فعلَهُ فرعونُ منْ تذبيحِ الأبناءِ، وما يرافقُ تصورَ منظرِ الذبحِ منْ مشاهدَ مؤلمةٍ.

أما (قتل): القاف والتاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إذلالٍ وإماتة[54]. وهو المثل والنظير في قتال غيره يقال هما قتلان والخبير بالشيء يقال إنه لقتل شر عالم به[55].

وقدِ استخدمَ القرآنُ الكريمُ لفظةَ (قَتَلَ) في قولهِ تعالى: { وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [الأعراف: 141] ذكرَهمْ عزَّ وجلَّ بما فعلَهُ فرعونُ منْ أساليبَ وحشيةٍ اللتي أشدُّها القتلُ بمختلفِ أنواعِهِ؛ ما نتصورُها وما لنْ نتصورَها - فهمْ بعدَ رحلةِ النجاةِ منْ فرعونُ والغرقِ يطلبونَ آلهةً؟!

فضلاً عنْ أنَّ سياقَ سورةِ البقرةِ كانَ يُفصّلُ في كلِّ شيءٍ؛ في النعمِ والأحداثِ، ولا يُستبعدُ أنَّ فرعونُ كانَ يأمرُ بالذبحِ مرةً وبالقتلِ بطريقةٍ أخرى في مرةٍ أخرى، ولا سيما إذا عرفنا أنَّ القتلَ والذبحَ كانَا بأوقاتٍ مختلفةٍ، ففرعونُ كانَ يأمرُ بذبحِ الأبناءِ الصغارِ قبلَ ولادةِ موسى خوفاً منْ تحققِ النبوءةِ.

ومنْ هنا يتضحُ أنَّ التعبيرَ بـ(يُذَبّحُونَ) يستحضرُ صورةً حسيةً مشهديةً توحي بشدةِ الفعلِ ووحشيتِهِ، في حينَ أنَّ (يُقَتّلُونَ) يدلُّ على مطلقِ الإهلاكِ، وهوَ ما ينسجمُ معَ اختلافِ المقامينِ في عرضِ الحدثِ.

المستوى الثالثُ: تعاورُالأسماءِ والصفاتِ والسلوكياتِ مقامياً؛ ويضمُّ ثلاثَ ثنائياتٍ:

أولًا: ثنائيةُ الماهيةِ والرو ابطِ البيولوجيةِ والوظيفةِ التداوليةِ: (الأب / الوالد).

جاءَ في المعاجمِ اللغويةِ أنَّ الأبَ يدلُّ على معانٍ عدةٍ، منها الدلالة على الذي يقدم الغذاء[56]، وتأتي بمعنى الرعاية والحنو، يقول: أبوتُ فلانًا وأممته كنت له أبًا وأمًّا[57]، أما الوالد فهي من (ولد) بمعنى النجل والنسل، وتولد الشيء من الشيء حصل عنه[58]. وفَرَّقَ العسكريُّ بينَ الأبِ والوالدِ، فالوالدُ يطلقُ على مَنْ وَلَدَ منْ غيرِ واسطةٍ، والأبُ يطلقُ على الجدِّ البعيدِ [59].

استعمل القرآن الكريم لفظتي (الأب والوالد) في سياقات مختلفة في التعبير، ففي قوله تعالى:((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ)) وقال تعالى:((أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ))، فيظهر أن التعبير بلفظة (الأب) تأتي بصفة العموم، فقد يكون الأب والدًا مباشرًا كما في الآية الكريمة:((إذ قال يوسف لأبيه)) والأب هنا المقصود هو نبي الله يعقوب(عليه السلام)، وقد يكون الأب غير مباشر ويقصد به الجد أو أقرب منه كما في قوله تعالى:((ما لم يأتِ آباءهم الأولين)) فهنا الأب غير مباشر.

واستعملَ القرآنُ الكريمُ لفظةَ (الوالدِ) وهوَ لا يريدُ بها إلا الأبَ المباشرَ ففي قولهِ تعالى:((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا))

في كلِّ الآياتِ اللتي ذُكِرتْ بها لفظةُ (الوالدِ) يرادُ بها الأبُ المباشرُ، ويمكنُنا تلمُّسُ ذلكَ بقرينةِ العلاقةِ بينَ الوالدِ وولدِهِ فيدعوهُ اللهُ في أغلبِ المواضعِ والسياقاتِ إلى التحنُّنِ والخضوعِ والإحسانِ لهما، ومنْ ثَمَّ فإنَّ استعمالَ (الأبِ) يتسمُ بالاتساعِ الدلاليّ، في حينَ يختصُّ (الوالدُ) بالدلالةِ المباشرةِ، وهوَ ما ينسجمُ معَ طبيعةِ السياقاتِ اللتي وردَ فيها كلٌّ منهما، ويؤكدُ أنَّ الاختيارَ اللفظيّ في القرآنِ تحكمُهُ دقةٌ في تحديدِ العلاقةِ المقصودةِ.

ثانيًا: ثنائيةُ الاضطرابِ والتردِدِ الذهنيّ والنفسيّ: (الريب / الشك):

الريبُ والشكُّ مِنَ الألفاظِ المتقاربةِ الدلالةِ إلى درجةٍ قدْ يبدو للوهلةِ الأولى أنهما مترادفاتٍ، ولكنَّ الاستعمالَ القرآنيّ لهذينِ اللفظينِ يشيرُ إلى أنَّ هناكَ فرقاً بينَهما وإنْ كانَ فرقاً دقيقاً، وسنحاولُ هنا الوقوفَ على ذلكَ الفارقِ الدلاليّ بينَ هذينِ اللفظينِ.

لقدْ جاءَ ذكرُ الريبِ في القرآنِ الكريمِ ستًّا وثلاثينَ مرةً وبتصانيفَ مختلفةٍ[60]. في حينَ وردَ ذكرُ الشكِّ في خمسَ عشرةَ مرةً جاءَ في سِتِّ آياتٍ منها موصوفاً بأنه مريب[61]. هنا اخترنا منها آيتينِ جاءَ فيهما اللفظانِ في مجالٍ دلاليّ متشابهٍ هما: قولهِ تعالى :{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}(سورة البقرة:2)، وقولهِ تعالى:{أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي} (سورة ص: 8).

والكلامُ في الآيتينِ المباركتينِ على القرآنِ الكريمِ، ولكنْ مرةً نفى جلَّ وعلا عنه الريبَ، ومرةً ذكرَ أنهمْ في شكٍّ منهُ، ولا شكَّ ولا ريبَ أنَّ تعاورَ اللفظينِ هنا إنما جاءَ لغرضٍ دلاليّ وهذا ما نحاولُ بيانَهُ فيما بعدُ.

ذهبَ معظمُ أصحابِ المعجماتِ اللغويةِ إلى أنَّ الريبَ هوَ الشكُّ وقالَ بعضُهمْ هوَ الشكُّ مَعَ التهمةِ [62]، ذهبَ أبو الهلالِ العسكريّ إلى التفريق بين الريب والشك إذ يقول:((الشك: هو تردد الذهن بين أمرين على حد سواء. وأما الريب فهو شك مع تهمة ودلَّ عليهِ قوله تعالى: ((ذلك الكتاب لا ريب فيه" وقوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)). فإن المشركين - مع شركهم في القرآن - كانوا يتهمون النبي بأنه هو الذي افتراه وأعانه عليه قوم آخرون! ويقرب منه (المرية) وهو بمعناه، وأما قوله تعالى: ((إن كنتم في شك من ديني)) فيمكن أن يكون الخطاب مع أهل الكتاب أو غيرهم ممن كان يعرف النبي صلى الله عليه وآله بالصدق والأمانة ولا ينسبه إلى الكذب والخيانة))[63].

واضحٌ منْ كلامِ أبي الهلالِ العسكريّ أنهُ يرى أنَّ الريبَ هوَ الشكُّ معَ الاتهامِ ولذلكَ عندما كانَ الخطابُ للمشركينَ اللذينِ كانُوا معَ شكِّهم في القرآنِ الكريمِ يتهمونَ النبيَّ بأنهُ هوَ اللذِي وضَعَهُ بمساعدةِ آخرينَ خاطبَهم بـ(الريبِ)، وعندما خاطبَ أولئكَ المشككينَ بالقرآنِ الكريمِ منْ دونِ اتهامٍ استعملَ (الشكَّ)، وهذا التحليلُ يتفقُ معَ المعنى اللغويّ للفظينِ، إذْ إنَّ الريبَ هوَ شكٌّ معَ التهمةِ كما جاءَ في المعجماتِ اللغويةِ وأثبتناهُ فيما أسلفنا.

وإلى مثلِ ذلكَ ذهبَ الكفويُّ في التفريقِ بينَ الشكِّ والريبِ إذْ يقولُ:((وَالشَّكّ سَبَب الريب كَأَنَّهُ شكّ أَولًا فأوقعه شكه فِي الريب، فالشك مبدأ الريب، كَمَا أَن العلم مبدأ الْيَقِين))[64].

في ضوءِ ما تقدمَ نجدُ أنَّ الريبةَ غيرُ الشكِّ، إنما هيَ حصيلتُهُ، إذْ إنَّ الريبةَ قلقُ النفسِ واضطرابُها، والشكُّ تردّدٌ يفضي إلى تلكَ الحالةِ، ويكشفُ هذا التمييزُ عنْ أنَّ القرآنَ الكريمَ لا يوظفُ الألفاظَ المتقاربةَ على سبيلِ الترادفِ التامّ، بلْ يختارُ منْ بينها ما ينسجمُ معَ الحالةِ النفسيةِ والفكريةِ للمخاطبِ، الأمرُ الذي يمنحُ كلَّ لفظٍ خصوصيتَهُ الدلاليةَ داخلَ السياقِ.

ثالثًا: ثنائيةُ الإنكارِ والوقوعِ المقاميّ: (الإمْر / النُّكْر):

تعاورُ مفردتَي (الإمْرِ) و(النُّكْرِ) في القرآنِ الكريمِ في نفسِ القصةِ وهيَ قصةُ الخضرِ والنبيّ موسى (عليهما السلامُ):

الإمر بالكسر اسمٌ مِن أَمِرَ الشَّيءُ بالكسر إذا اشتدَّ ، أَي (مُنْكَرٌ عَجِيبٌ) وهو الداهية [65]، وتأتي بمعنى كثيرٌ، من قول الله: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} ، ومن قولهم: أَمِرَ الشيءُ، إذا كثر[66]. وقيل انه "الإمر" ما يخشى منه[67]. وهو يعني كذلك العَجَب[68]، إذًا المعنى المتحصل من استقراء مادة (إمر) هو الانكار والتعجب.

أما النُّكْرُ والنَّكْراءُ هو الدَّهاءُ والفِطنة ورجل نَكِرٌ ونَكُرٌ ونُكُرٌ ومُنْكَرٌ من قوم مَناكِير دَاهٍ فَطِنٌ[69] و(نكر) الأمر نكارة صعب واشتد وصار منكرًا[70]. و(أنكر) الشيء جهله، وهو ما تنكره العقول[71].

المعنى المتحصلُ منِ استقراءِ مادةِ (نَكِرَ) إنها ضدُّ العرفانِ وهوَ ما لا يعترفُ العقلُ السالمُ بحسنِهِ، بلْ يحكمُ بقبحِهِ، ومنْ مصاديقِهِ الإنكارُ، التعييبُ، التقبيحُ، الجحودُ، ومنْ لوازمِهِ: الجهلُ، والتغييرُ، والنهيُ، والشدةُ [72].

متى استعملَ النصُّ القرآنيُّ مادةَ (إمر) ومتى استعملَ مادةَ (نَكِرَ) وما السببُ؟ استعملَ النصُّ القرآنيُّ لفظةَ (إمْرًا) بالكسرِ في قولهِ تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} [الكهف: 71] فقدْ قيلَ أنهُ أرادَ شيئاً عجباً، وقيلَ أنهُ أرادَ شيئاً منكراً، وقيلَ إنَّ الأمرَ أيهما هوَ الداهيةُ، فكأنَّهُ قالَ جئتَ داهيةً [73].

واستعملَ النصُّ القرآنيُّ لفظةَ (نُكْرًا) في قولِهِ تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } [الكهف: 74]، أيْ قطعياً منكراً لا يُعرَفُ في شرعٍ.

والمنكَرُ أشدُّ مِنَ الأمرِ وإنما قالَ ذلكَ لأنَّ قلبَهُ صارَ كالمغلوبِ عليهِ حينَ رأى قتلَهُ [74]؛ لأنَّ السياقَ أكثرُ شدةً منْ موقفِ خرقِ السفينةِ، فهو فعلٌ منكرٌ لا يقبلُهُ العقلُ السليمُ؛ لأنَّ الجريمةَ كبيرةٌ، وقتلَ النفسِ الزكيةِ اللتي لمْ تلوِّثْهَا الذنوبُ مخالفةُ التكاليفِ الإلهيةِ [75].

وللسائلِ أنْ يسألَ عنِ "الإمْرِ" و"النُّكْرِ" وهلْ كانَ أحدهما يصلحُ في موضعِ الآخرِ، أمْ لكلِّ واحدٍ معنى يخصُّهُ بمكانِهِ؟ والجوابُ أنْ يقالَ: قيلَ: الإمْرُ: إنهُ الداهيةُ، وقيلَ: إنهُ العَجَبُ [76]، والسفينةُ لمْ تغرقْ وإنما عِيبَتْ، وخُشِيَ منهُ، وقتلُ الغلامِ إعداماً لهُ بالكليةِ، فناسبَ كلَّ لفظٍ مكانَهُ [77].

إذًا الأَمْرُ العَجَبُ والمُعْجِبُ والعَجَبُ يُستعمَلُ في الخيرِ والشرِّ بخلافِ النُّكْرِ؛ لأنَّ ما ينكرُهُ العقلُ فهو شرٌّ، وخرقُ السفينةِ لمْ يكنْ فيهِ غرقٌ فكانَ أسهلَ منْ قتلِ الغلامِ وإهلاكِهِ، فامتازَ لكلِّ واحدٍ معنىً يخصُّهُ [78] إذْ إنَّ خرقَ السفينةِ حَمَلَ احتمالَ وقوعِ الغرقِ منْ عدمِهِ - وهوَ ما تحققَ إذْ لمْ تغرقْ - في حينَ أنَّ قتلَ النفسِ منكرٌ واقعٌ فعلاً قطعياً لا يحتملُ التأويلَ ولا الشكَّ [79].

في ضوءِ هذا الاستعمالِ يتبينُ أنَّ الفرقَ بينَ اللفظينِ ليسَ فرقاً معجمياً فحسبْ، بلْ هوَ فرقٌ سياقيٌّ يرتبطُ بدرجةِ الفعلِ وخطورتِهِ، إذْ جاءَ (الإمْرُ) في سياقٍ يحتملُ التأويلَ، في حينَ جاءَ (النُّكْرُ) في سياقٍ لا يقبلُ ذلكَ، وهوَ ما يعكسُ دقةَ الاختيارِ القرآنيِّ.

الخاتمةُ والنتائجُ والتوصياتُ:

أولًا/ الخاتمةُ:

تأسيساً على ما تقدَّمَ في فصولِ هذا البحثِ، تكشفُ هذهِ الدراسةُ أنَّ ظاهرةَ الترادُفِ في المفرداتِ القرآنيةِ لا يمكنُ اختزالُها في حدودِ التنوعِ اللفظيِّ العفويِّ أوِ التقاربِ المعجميِّ السطحيِّ، بلْ هيَ جزءٌ منْ نسقٍ تعبيريٍّ محكمٍ تُدَارُ فيهِ المفرداتُ وفقَ منطقٍ سياقيٍّ وتداوليٍّ متكاملٍ، يمنحُ كلَّ مفردةٍ خصوصيةً تعبيريةً ووظيفةً معنويةً ونفسيةً محددةً لا يمكنُ لأيِّ لفظةٍ أخرى أنْ تسدَّ مسدَّها في موضعِها؛ وبذلكَ يتضحُ أنَّ هذا المفهومَ يفتحُ مساراً تحليلياً متجدداً يعيدُ قراءةَ الظواهرِ اللغويةِ في التراثِ البلاغيِّ بروحِ الممارساتِ اللسانيةِ المعاصرةِ، لتأكيدِ تماسكِ البناءِ الإعجازيِّ الرصينِ في النسيجِ القرآنيِّ المحكمِ.

ثانيًا/النتائجُ:

وقدْ أسفرَ استقراءُ الثنائياتِ اللفظيةِ المتعاورةِ في هذا البحثِ، ومقاربتِها وفقاً للمنهجِ السياقيِّ والتداوليِّ، عَنْ جملةٍ مِنَ النتائجِ التطبيقيةِ المحددةِ، وهيَ كالتالي:

١. إنَّ التعاورَ الصرفيَّ في أبنيةِ المفرداتِ القرآنيةِ (مثلُ: البطشُ/ البطشةُ، واستطاعُوا/ اسطاعُوا) محكومٌ بمدى الجهدِ البشريِّ أوِ السعةِ المقاميةِ؛ إذْ يواكبُ التخفيفُ بحذفِ الحرفِ الجهدَ الأخفَّ أوِ الأسرعَ، في حينَ يواكبُ إتمامُ البنيةِ الجهدَ الأثقلَ أوْ مقامَ التعميمِ والتهويلِ.

٢. أثبتَ البحثُ أنَّ تعاورَ الأفعالِ المتقاربةِ بياناً (مثلُ: انفجرتْ/ انبجستْ، وبَزَغَ/ طَلَعَ) يخضعُ للتدرجِ الحدثيِّ والدقةِ المشهديةِ في السياقِ؛ فالانبجاسُ والبزوغُ يمثلانِ المراحلَ الأولى والمقدماتِ للحدثِ، بينما الانفجارُ والطلوعُ يمثلانِ ذروةَ الاكتمالِ والظهورِ الجليِّ للعيانِ.

٣. إنَّ التناوبَ بينَ أدواتِ الظَّفَرِ والإدراكِ (مثلُ: وَجَدَ/ ثَقِفَ) محكومٌ بقرائنِ الصراعِ والمغالبةِ؛ إذْ تفردُ المادةَ (ثَقِفَ) بالمواطنِ والبيئاتِ اللتِي تتطلبُ عناءً ومطاردةً في آياتِ المواجهةِ والجهادِ، بخلافِ المادةِ (وَجَدَ) اللتِي تتحققُ دلالتُها دونَ الحاجةِ إلى هذا البعدِ الحركيّ.

٤. يتوزعُ تعاورُ الأسماءِ والروابطِ (مثلُ: الأبُ/ الوالدُ) بينَ الخصوصيةِ البيولوجيةِ المباشرةِ للفظِ (الوالدِ) المرتبطِ بالولادةِ المباشرةِ، وبينَ الاتساعِ والتنوعِ التداوليّ والاجتماعيّ للفظِ (الأبِ) الممتدِّ ليشملَ الأجدادَ، والمربينَ، والأقوامَ بصفةِ العمومِ.

٥. أظهرَ التحليلُ أنَّ التعاورَ بينَ مفرداتِ الأحوالِ النفسيةِ والإنكاريةِ (مثلُ: الريبُ/ الشكُّ، والإمْرُ/ النُّكْرُ) يتناسبُ طردياً معَ درجةِ اضطرابِ المخاطَبِ وخطورةِ الواقعةِ المشهودةِ؛ فالريبُ شكٌّ جُبِلَ بالتهمةِ والقلقِ النفسيّ، والنُّكْرُ أشدُّ فعلاً وإهلاكاً مادياً لا يحتملُ التأويلَ، بخلافِ (الإمْرِ) الذي يحتملُ المراجعةَ والاستيضاحَ.

ثالثًا/ التوصياتُ:

بناءً على ما أسفرتْ عنه هذهِ الدراسةُ منْ معطياتٍ، يوصي البحثُ بالآتي:

1. التوسعُ في تطبيقِ آلياتِ اللسانياتِ المعاصرةِ (كالمنطقِ المقاميّ ومقتضى الحالِ) على المأثورِ منْ كتبِ الفروقِ اللغويةِ والتراثِ البلاغيّ لإعادةِ قراءتِها بروحٍ حديثةٍ.

٢. توجيهُ الباحثينَ وطلبةِ الدراساتِ العليا نحوِ دراسةِ "تعاورِ الأدواتِ والحروفِ" في النصّ القرآنيّ، وعدمِ الاقتصارِ على تعاورِ الأسماءِ والأفعالِ فحسبْ.

٣. العملُ على إنتاجِ "معجمٍ تداوليٍّ للمتشابهِ اللفظيّ" في القرآنِ الكريمِ يربطُ اختيارَ الألفاظِ بالبيئةِ النفسيةِ والاجتماعيةِ للسورِ والمخاطَبينَ بها.

الهوامش:

---

(1) العين: 2\239
(2) الصحاح تاج العروس وصحاح العربية : 1\186
(3) مقاييس اللغة: 2\314.
(4) تهذيب اللغة: 3\105
(5) ينظر: لسان العرب: 4\618.
(6)تهذيب اللغة: 15\350.
(7) النهاية في غريب الحديث والأثر : 3\320.
(8) المصباح المنير: 1\178.
(9)شرح المفصل :4\438.
(10)علوم البلاغة: 259.
(11) بلاغة الكلمة: 109.
(12) ينظر تعاور الألفاظ في القصص القرآني:191.
(13) تعاور الألفاظ في القصص القرآني قصة موسى انموذجًا- كريم كحول– مقدمة.
(14) ينظر: تعاور الألفاظ في القصص القرآني: 191
(15) ينظر: مقاييس اللغة:262/1
(16) ينظر: لسان العرب: مادة (بطش)
(17) ينظر: العموم الصرفي في القرآن الكريم: 172
(18) ينظر: الكشاف:732/4، والمحرر الوجيز:5/ 462، ورح المعاني: 301/15، والتحرير والتنوير:30/ 248
(19)ينظر: الكشاف: 4/ 274، وتفسير أبي السعود: 61/8، وروح المعاني:119/13

(20) لسان العرب: 8/ 242

(21) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (2/ 323)

(22) الجنى الداني من جماليات النص القرآني: 115.

(23) التعبير القرآني: 75.

(24) السبعة في القراءات (ص: 401)

(25) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 748.

(26) ينظر أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية: 64، 65،والجنى الداني من جماليات النص القرآني: 115.

(27) العين:58/6.

(28).436/15

(29) الدر المصون:385/1.

(30) الكليات:200/1.

(31) ينظر:بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:114.

(32)مقاييس اللغة: 244)

(33)ينظر: لسان العرب مادة (بزغ)، والقاموس المحيط : 779، وتاج العروس: 22/ 440

(34) ينظر: تفسير الراغب: 379/4

(35) ينظر: الفروق: 98 ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 1/ 287

(36) ينظر: مقاييس اللغة: 3/ 327

(37) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم:128/7

(38) ينظر: البحر المحيط: 161/4

(39) ينظر: المحرر الوجيز: 4/ 70

(40) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس :6/ 47.

(41) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (8/ 18)

(42) تفسير الأمثل - مكارم الشيرزي : 3/ 371.

(43) مختار الصحاح: 90:

(44) تاج العروس من جواهر القاموس :9/ 261.

(45) ينظر: التحقيق في كلمات القران :2 /23.

(46) التبيان في تفسير القرآن _ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي :3/ 288.

(47) كنز الدقائق _ الميرزا محمد المشهدي :2/ 650.

(48) معاني القرآن للنحاس: 2/ 158.

(49) تفسير الألوسي = روح المعاني :3/ 107.

(50) التحقيق في كلمات القران :2 /23.

(51) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس 2/ 167.

(52)المغرب في ترتيب المعرب _ المطرزي أبو الفتح النحوي :2/ 278.

(53) المعجم الوسيط _ إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمدالنجار :1/ 640.

(54) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس :5/ 28.

(55) المعجم الوسيط _ إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمدالنجار :3/ 198.

(56) ينظر: مقاييس اللغة: 1/ 44

(57) ينظر: أساس البلاغة: 18/1

(58) ينظر: مقاييس اللغة: 143/6

(59) ينظر: الفروق اللغوية: 566

(60) ينظر :الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم:229 للدكتور محمد عبد الرحمن بن صالح

(61) ينظر: المصدر نفسه:235

(62) ينظر: العين:287/8، والصحاح141/1،والنهاية :286/2،والمصباح المنير:247/1

(63) معجم الفروق اللغوية:264/1

(64)الكليات:528/1

(65) تاج العروس من جواهر القاموس :10/ 75.

(66) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :2/ 16.

(67) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى: 242.

(68) ينظر: التحقيق في كلمات القران: 1: 157.

(69) لسان العرب : 6/ 4539.

(70) المعجم الوسيط :2/ 951.

(71) كشف المعاني في المتشابه من المثاني: 242.

(72) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن: 12- 265.

(73) تنزيه الأنبياء عليهم السلام _ الشريف المرتضى: 120.

(74) تفسير مجمع البيان - الطبرسي :6/ 330.

(75) تفسير الشعراوي :14/ 8961.

(76) درة التنزيل وغرة التأويل :1/ 878.

(77) نفسه

(78) أسرار التكرار في القرآن = البرهان في توجيه متشابه القرآن: 170.

(79) كتب و رسائل للعثيمين :11/ 94.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، محمود بن حمزة الكرماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م.
2- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
3- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل ، دار النشر، البلد، السنة.
4- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2006م.
5- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420هـ.
6- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرائي ، مكتبة العاتك ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2006م .
7- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، د.ط، د.ت.
8- تعاور الألفاظ في القصص القرآني (قصة موسى أنموذجًا)، كريم كحول (بحث)، جامعة الجزائر2، المجلد 23، العدد45، 2019.
9- تعاور الكلمات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، د. محمد شيباني، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف- الجزائر، المجلد 6، العدد1.
10- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، ط1، 2009م.
11- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم)، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
12- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م.
13- تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
14- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، د.ت.
15- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
16- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001م.
17- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين المرادي(ت ٧٤٩هـ)، تح: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
18- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
19- شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
20- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م.
21- درة التنزيل وغرة التأويل، (اسم المؤلف)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
22- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
23- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1980م.
24- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.
25- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
26- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد عبد الرحمن بن صالح، دار النشر العلمي، السعودية، ط1، 2010م.
27- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
28- الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م.
29- كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي، دار الكتب الإسلامية، طهران، د.ط، د.ت.
30- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

31- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 1966م.
32- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
33- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ط1، 1986م.
34- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
35- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
36- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم»، ط1، ١٤١٢هـ.
37- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979م.
38- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، د.ط، د.ت.
39- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر الدين المطرزي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
40- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
41- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1995م.
42- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1963م.

Semantic Alternation in Qur'anic Vocabulary: A Contextual Pragmatic Studys

Dr. Nada Wahab Kazim
Al-Qasim Green University

nadawahab@vet.uoqasim.edu.iq

Keywords: Semantic Alternation, Quranic Vocabulary, Contextual Analysis, Pragmatic Linguistics, Expression Variance.

Summary:

Praise be to God, Lord of the worlds, and blessings and peace be upon Muhammad and his pure progeny.

This study examines the phenomenon of lexical alternation in the Qur'an as a semantic and contextual feature, whereby different words appear in similar contexts, revealing the precision and intentionality of word choice in the Qur'anic text.

The research is driven by the following central question: Can the variation of words in closely related contexts be explained solely through lexical semantics, or do context and situational factors play a decisive role in directing this variation?

To address this, the study adopts a descriptive-analytical approach based on inductive analysis and comparative examination of Qur'anic verses, while drawing on linguistic and exegetical sources to uncover subtle distinctions between alternated expressions.

The findings demonstrate that lexical alternation in the Qur'an is not merely a stylistic variation, but rather a precise semantic system governed by context and discourse. Each word carries a distinct functional meaning that cannot be substituted by another within its specific position.

The study concludes that this phenomenon represents a significant aspect of the Qur'an's rhetorical inimitability, reflecting the coherence of its linguistic structure and the richness of its multiple layers of meaning.